# السيميائيات السردية كتاب سعيد بنكراد نموذجا

*Narrative Semiotics, a book by Said benKrad, a model*

طالب الدكتوراه: وزير توفيق
الدكتور: بن حنيفية فاطمة

قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة تسمسيلت-(الجزائر)
**مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، جامعة تسمسيلت.**
*ouazir.toufik@cuniv-tissemsilt.dz*

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2023/05/28 تاريخ النشر : 2023/12/05

**ملخص:**

تعد السيميائيات السردية من أهم النّظريات الحديثة التي تسعى إلى استنطاق النّص وسَبر أغواره الدّلالية بعيداً عن جوانبه الخارجية، ولعلّ النّاقد المغربي "سعيد بنكراد" من خلال مؤَلفه الشهير "السيميائيات السردية" واحد من أهم النّقاد الذين أخلصوا لهذه النّظرية الغريماسية، لهذا جاءت هذه الدراسة تحاول أن تعرض المفاصل المركزية لنظرية "غريماس A. J. Greimas " الخاصّة بالنّص السردي، برصد أصولها المعرفية وتتبع مكوناتها وطريقة انبنائها واشتغالها على ضوء ما ورد في هذا الكتاب، ولتحقيق هذا الهدف العلمي انصبّ الاهتمام على الجوانب الابستيمولوجية، النموذج العاملي، الخطاطة السردية، البرنامج السردي، ولم يمنعني ذلك من تقديم بعض التأويلات وفق ما تسمح به الترسانة المفهومية العربية، فالنّظرية في جميع الحالات لا تهاجر إلى ثقافة أخرى من خلال مفاهيمها فقط، بل تكون منتجة عندما تستوعبها الثقافة في أسسها الفلسفية، خاتماً الدّراسة بأهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: السيميائيات، السرد، النموذج العاملي، سعيد بنكراد.

***Abstract:***

Narrative Semiotics is one of the most important modern critical theories, It aims to examine the text and investigate its semantical component away from its external form. The Moroccan “Said Benkrad” has studied the Greimas theory in “Narrative Semiotics”,hence;this study focus to explain this theory related to its narrative texts by examining its cognitive roots, components, structure and processing. Itexamined the epistemological aspects, the factorial analysis, and the narrative graphandprogram. Certain

interpretation related to the Arabic cognitive aspects has been provided, for a theory could be productive when embraced by another culture.

***key words:*** Semiotics. Narrative. Factorial Analysis. Said benkrad.

**المقدمة:**

يُعتبر الناقد المغربي "سعيد بنكراد" من أبرز النقاد في الساحة العربية والمغاربية الذين أولوا اهتماماً بالغاً بمدرسة باريس السيميائية تنظيراً وتطبيقاً لاسيما في التسعينيات من القرن الماضي، ولا أدَل على ذلك من مؤلفاته التي يظهر في طليعتها كتابُه الأول" السيميائيات السردية" الذي لاق نجاحاً باهراً، حيث صدرت منه ست طبعات في دور نشر مختلفة وكان بمثابة تكريم ورد بعض الدّين من الناقد لزعيم المدرسة "جوليان غريماس A. J. Greimas "؛ من هذا المنطلق صغت الإشكالية التالية: كيف رصد الناقد "سعيد بنكراد" أصول وأسس نظرية غريماس في كتابه؟

يستهل "بنكراد" كتابه بالتقديم لكتاب"غريماس" الشهير علم الدلالة البنيوي"، الذي انطلق حسبه من أسس فلسفية فينومينولوجية ليكون بمثابة الحلقة الأولى و ليشكّل التباشير الأولى لميلاد مدرسة "باريس السيميائية" ولتيار سيعرف ويشتهر فيما بعد "بالسيميائيات السردية" يُعنى بتحليل النصوص السردية، هذا ويسعى الناقد "بنكراد" في كتابه إلى تقديم مبسط لأهم المبادئ والأسس التي تبنى عليها هاته النظرية رغم اعترافه بصعوبة المهمة لارتباطها بمعارف متنوعة (المنطق، الفلسفة، اللسانيات) وكذا دقة وكثرة مصطلحاتها، كما يؤكد على أنّه تناول هذه النظرية في كتابه من الناحية الإبستيمولوجية أولا لما تمثله هذه المعرفة من أهمية بالغة قبل الولوج إلى جوانبها التطبيقية التي قد تولد في ثقافتنا العربية عرجاء "ممسوخة لا ترقى إلى الأصل المؤسس"[1].

وقد اتبع الباحث في إخراج فصول هذا الكتاب على أعمال صاحب النظرية – غريماس- وبعض كتابات تلامذته، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت "بنكراد" يستند إلى هذه النظرية- كما يصرح هو بذلك- هو شموليتها وتلاقحها مع نظريات مختلفة وإمكانات تطبيقها على مجالات تتجاوز في أحيان كثيرة الميدان السردي، إضافة إلى الخاصية الأساس التي تميّزها عن باقي النظريات وهي مشكلة المعنى أي همها مطاردة المعنى وترويضه وتتبع طريقة إنتاجه وتداوله واستهلاكه، ورغم ذكره لهذه الميزات إلا أنّ "عرضه لهذه النظرية والنبش في أصولها ومفاهيمها يأتي مقرونا -كلما اقتضى الأمر ذلك– بلفت الانتباه إلى هفواتها ومواطن ضعفها ومكامن قصورها، وهذا أمر بديهي في أي نظرية في العلوم الإنسانية "[2]، إذ يقول "بنكراد" في هذا الصدد "فلا وجود لنظرية تقدم نفسها بديلا مطلقا للنظريات الأخرى، فشمولية نظرية ما تكمن في قدرتها على التحاور مع نظريات أخرى تتقاسم معها موضوعا واحدا للدراسة"[3].

**1. الإرث الشكلاني**

يؤكد الباحث أنّ من المرجعيات الأساسية التي قامت عليها السيميائية السردية هي أعمال الباحث الروسي "فلاديمير بروب Vladmir prop" في دراسته الشهيرة "مورفولوجيا الحكاية الشعبية " الصادرة سنة 1928م "الذي كان يهدف إلى مساءلة النص في ذاته ولذاته من خلال بنيته الشكلية"[4]، للكشف عن العناصر المشتركة التي اعتمد عليها المتن الحكائي للحكايات الخرافية التي اختارها كمجال للدراسة "فلم يركز بروب اهتمامه على القصة المحكية، ولا توزيعها الجغرافي ولا على موضوعاتها أو تيماتها وإنما ركز على تعريف الحكاية العجيبة كجنس في مقابل أشكال أدبية و شعبية أخرى"[5]. وكان هدفه أن يستخلص نظرية من خلال جمعه لمائة حكاية روسية بغية رصد البنيات الشكلية لها"، وانتهى إلى إحصاء الحكايات في إطارها النوعي، باختزالها في نوع واحد مثالي؛ وبالفعل فقد أوجد عددا من المتغيرات المتمثلة في الشخوص وطريقة أدائها للفعل وعددا من الثوابت، وهي الأفعال المتحصل عليها من تلك الشخوص، إنّها أفعال يسميها "بروب" في اصطلاحه الخاص (الوظائف) وتعني تلك الوحدات التركيبية التي تبقى ثابتة طيلة الحكي وقد حددها بواحد وثلاثين(31) وظيفة"[6]. وبحسب تصور "بنكراد"، القول بأنّ الوظيفة هي العنصر الدائم والثابت معناه القول، بصيغة أخرى إنّ الوظائف هي الخالقة للشخصيات وليس العكس .

وبعد أن تحدث "بروب" عن الوظائف بالتفصيل قام بتوزيعها على الشخصيات الأساسية في الحكاية العجيبة فرأى أن هذه الشخصيات الأساسية تنحصر في سبع شخصيات:1-المتعدي أو الشرير 2-الواهب 3-المساعد 4-الأميرة 5-الباعث 6-البطل 7-البطل الزائف، وما يلاحظ في هذا التوزيع الجديد للشخصيات عند "بروب" هو التقليل من أهمية نوعية الشخصيات وأوصافها ذلك أنّ ما هو أساسي هو الدور التي تقوم به، و هكذا فالشخصية لم تعد تحدد بصفاتها وخصائصها الذاتية بل بالأعمال التي تقوم بها و نوعية هذه الأعمال[7].

ورغم إشارة الدّارس في كتابه إلى أهمية هذا المشروع البروبي ومساهمته في استقطاب اهتمام الباحثين في هذا الميدان، إلا أنّه ساق جملة من الملاحظات والمؤاخذات انطلاقا من انتقادات "ك.ليفي شتراوس *C. Levis Strauss*" الذي "كان أول من استرعى اهتمامه "بروب"، من خلال مؤلفه الشهير مورفولوجية الحكاية العجيبة الروسية"[8]، إذ خصّه بمقالة طويلة نشرها في كتابه الانتروبولوجيا البنيوية، "وهي المقالة التي شكلت تحولا حاسما في تاريخ السردية، وقد كان تصور شتراوس مبنيا على عدم الفصل بين المستوى التوزيعي والمستوى الاستبدالي، و هو الفصل الذي قاد "بروب" إلى التمييز داخل المتن الحكائي بين المضمون و الشكل"[9]. ويضيف

"بنكراد" أنّ هذا الفصل فاسد ولا يمكن أن يقود إلى التعرف على جوهر الحكاية ونمط اشتغالها "وفي هذه الحالة فإن مشروع بروب لن يقود إلا إلى خلط الأوراق من جديد، إنه يدعونا إلى اعتبار كل الحكايات حكاية واحدة وقد عبر عن ذلك ليفي شتراوس بلهجة ساخرة قائلا: قبل مجيء الشكلانيين لم نكن نعرف بدون شك ما يجمع بين الحكايات، أما بعدهم فلم نعد نعرف أين يكمن الاختلاف بينهما"[10]، وهو ما يعني أنّ "بروب" ركّز في مشروعه على الشكل وأهمل المضمون "ودون التقليل من أهمية اكتشاف بروب، فإنه يجب القول بأن عرضه لنتائج تحليله يفتقر إلى الصرامة ويبرز ثغرات واضحة "[11].

### 1.1. غريماس والمشروع البروبي:

يربط "سعيد بنكراد" ربطا وثيقا بين تصور "غريماس" وأعمال "بروب" حتى وإن بدت الانتقادات الموجه إلى بروب تفصل بينهما "بل لا نستطيع أحيانا تصور مشروع غريماس في انفصال عن المقترحات التي قدمها بروب"[12]، وهذا يعني أنّ السيميائية السردية قامت على أنقاض المشروع البروبي.

ويقول "بنكراد" في هذا الصدد "يمكن القول إن مشروع غريماس ما كان له أن يرى النور لولا وجود هذا العمل الجبار الذي قام به بروب"[13]، وهذا ما صرح به "غريماس" في إجابة عن سؤال يتمحور حول دور بروب وليفي شتراوس في سيرورة البناء النظري، إذ قال: "بالنسبة إلي هذا الموضوع تعد الأمور معروفة جدا. ماهي أوليات إسهام بروب وليفي شتراوس يجب أن نلاحظ، بادئ ذي بدء، أن إخبارنا بوجود ترجمة انجليزية لمورفولوجيا بروب من ليفي شتراوس، جعله يمثل مصدر تفكيرنا حول السردية"[14].

ويضيف "غريماس" في موضع آخر "إن قيمة النموذج البروبي كما نلاحظه جيدا لا تكمن في عمق التحليلات التي تدعمه ولا في دقة صياغاته، ولكن تكمن في خاصية الإثارة، في قدرته على إثارة الافتراضات، إنه التخطي بكل معانيه لخصوصية القصة العجيبة التي تطبع مسيرة السيميائية السردية منذ بدايتها."[15]. وبالتالي كان لزاما على "غريماس" أن يصلح ويصوغ صياغة جديدة النموذج البروبي – بحسب بنكراد - "وفي هذا المجال يلاحظ كلود زلبليبيرغ أن مهمة غريماس اتجاه المشروع البروبي كانت تتلخص في نقطتين أساسيتين، إنها تشكل أولا نوعا من الإصلاح، وتشكل ثانيا نوعا من التقليص"[16]، وعن هذه التعديلات التي قام بها "غريماس"، نلفي "بنكراد" قد لخصها في كتابه بقوله: "وهكذا عوض الحديث عن الوظيفة، يجب الحديث عن الملفوظ السردي، وبدل الحديث عن دوائر الفعل، يجب الحديث عن العامل كبؤرة للاستثمار الدلالي، وبدل النظرة التوزيعية، يجب التفكير في الكشف عن مستوى آخر لتنظيم السردية، وبدل الحديث عن التتابع الوظيفي يجب الحديث عن خطاطة سردية وعوض النظر إلى

السردية في مستوى التجلي، يجب النظر إليها في وجهها الكامن"[17]، وهكذا أرسى "غريماس" قواعد البحث السيميائي في إعادة قراءته للمشروع البروبي؛ وبعد فحص الباحث لأهم المصادر الفكرية التي أعانت "غريماس" في تحقيق مشروعه (المشروع البروبي) يعرّج في مدونته إلى أهم المبادئ والأسس التي اتبعها "غريماس" في ميدان بحثه .

**2. السيميائيات السردية**

يذهب الناقد إلى أن السيميائيات تتميّز بخاصية رئيسية "هي تركيزها على قضايا المعنى"[18]، إذ يرى أنّ العالم الذي نعيش فيه لا يمكن أن يكون مفهوما دون إحالته على المعنى مستشهدا بقول غريماس "إن الإنسان هو المنتج للمعاني وهو مستهلكها وهو ضحيتها الأولى والأخيرة"[19]، ويضيف "بنكراد" أنّ السردية في تصور غريماس "ليست وصفا مشخصا لعوالم مكتفية بنفسها بل تعد شكلا من أشكال تنظيم المعنى وطريقة وضعه للتداول، وهو ما يشير إلى أن هذا المعنى لا يوجد فيما تحيل عليه الأشياء بداهة بل مكمنه السيرورة التي تتشكل من خلالها باعتبارها دالة على معنى"[20]، وهذا يعني أنّ الدلالة لا تكترث للمادة الحاملة لها بعبارة أخرى "إن توليد الدلالة لا يتم أولا بإنتاج الملفوظات وتأليفها داخل خطاب، إنها مرتبطة في مسارها بالبنيات السردية وهي التي تنتج الخطاب الدال، المتمفصل إلى ملفوظات"[21]، يفهم من هذه الرؤية أنّنا لا يمكن أن نمسك بالمعنى إلا بالكشف عن المضمرات التي تخفيها الملفوظات الحاملة لدلالات رمزية أي البحث عن معان أخرى غير ما تحيل عليه الكلمات بشكلها المباشر.

وستقود قوة هذه النظرية وجبروتها- من زاوية نظر بنكراد- "إلى الكشف عن الكنز المعنوي المرصود، ويتعلق الأمر بمعنى معلوم أودعه المؤلف خلصة أو علنا في النص. وسيقوم التحليل الصحيح من جهته بإعادة اكتشافه من خلال الاهتداء بتعاليم تسندها مفاهيم صارمة، محددة داخل برنامج تحليل صارم سينتهي بالمحلل إلى إماطة اللثام عن السر النهائي أي الكشف عن الدلالة الكلية للنص."[22]، وهذا التحليل يسير ضمن مسار معقد يقود من المحايثة إلى التجلي عبر ثلاث محطات رئيسية هي:

1-البنيات العميقة.

2-البنيات السطحية.

3-البنيات الخاصة بالتجلي.

**1.2. التنظيم العميق**

وهي بنيات تحدد داخلها الكينونة الإنسانية بتنوع أشكال حضورها الجماعي والفردي، ويرى الناقد أنّه يمكن معاينة هذه البنيات من خلال مفاهيم مجردة كالصدق والخير والشر والأمانة والنزاهة، ويضيف أن البشرية جمعاء تشترك في هذه المضامين المدركة كثنائيات، إلا

أنّه لا يكفي تحديد هذه الثنائيات العامة(خير. شر) (صدق. كذب) للقول: أنّنا قد أمسكنا بنمط اشتغال السلوك الإنساني ونمط إنتاجه للقيم، و لهذا كان على "غريماس" حسب تصور "بنكراد" أن يجد نموذجا تجريديا قادرا على استعادة كل العناصر المندرجة داخل السلوك الإنساني ويطلق على هذا النموذج بالمربع السيميائي أو النموذج التأسيسي.

**2.2. النموذج التأسيسي (المربع السيميائي):**

يرى "بنكراد" أنّ المربع السيميائي ما هو، إلا محاولة من أجل تبسيط الخطاب وذلك بإخضاع المشخّص إلى سلسلة من التحويلات المتتالية التي تقودنا إلى اختصار النص في بنية بسيطة تجمع بين حدين، وهذا من أجل الإمساك بالفكرة التي يحاول أنّ يعبّر عنها النص "معنى هذا أنه يجسد شكل المعنى الذي يبنى عليه النص في جملته. ويقودنا هذا إلى إثارة قضية مرتبطة بالمنطق ومنتظمة حول ثنائية علاقة/عملية. فالعلاقة المذكورة بين الوحدات الدلالية المؤسسة لبنية النص العميقة ذات مدى منطقي أي أنها تكشف البنية في حالتها القارة، وكأننا اختزلنا الخطاب كاملا في وحدات دلالية محدودة العدد وفي الوحدات المولدة لمساحة النص الظاهرة "[23].

**3.2. تسريد النموذج التأسيسي:**

حسب رؤية بنكراد التسريد هو كيفية الانتقال من النموذج التأسيسي المكون من مضامين مجردة خارج أي سياق، إلى قصة تدرك كمجموعة من العناصر المشخصة (زمان، مكان، شخصيات...) "ولا يتم هذا الانتقال إلا من خلال عملية التسريد، أي بإعطاء بعد سردي لمقولة بالغة العمومية و التجريد، ولكي نتحدث عن عملية التسريد يجب تحديد وضع هذه البنيات داخل المسار التوليدي للدلالة"[24]، ويضيف الناقد أنّ عملية تسريد البعد المفهومي وتحويله إلى بنية مشخّصة يجب أن يتم من خلال التحول من الدلالي إلى التركيبي أي التحول من العلاقات المكونة للنموذج التأسيسي إلى عمليات، مثال:"

**الشكل 01: المربع السيميائي**

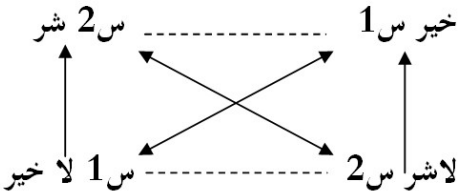


**المصدر: بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ص62.**

-علاقة ضدية ...خير(م) شر

-علاقة تناقظية... خير(م) لاخير –شر(م)لاشر

-علاقة اقتضائية...لاخير(م)شر-لاشر(م) خير"[25].

يفهم من هذه الرؤية أنّ النموذج التأسيسي يقوم بتشخيص علاقات التضاد وشبه التضاد والتناقض والاقتضاء، فمن خلال الاختلاف والتناقض والتضاد يولد معنى في أشكال تصويرية مختلفة، ويتمظهر على مستوى السطح بصيغ تعبيرية مختلفة ومتنوعة "فعوض الاكتفاء بالقول أن الخير مرتبط بالشر، يجب أن نتصور إمكانية الانتقال من حالة يسودها الشر إلى حالة مفعمة بالخير أي من النفي إلى الإثبات حينها ستلوح في الأفق معالم قصة تعج بالأحداث وسنكون في هذه المرحلة في موقع تتحول فيه القيم من طابعها المجرد العام لكي ترتبط بكيان يستوعبها"[26].

وعليه فالنموذج التأسيسي وظيفته تجسيد شكل المعنى الذي يبنى عليه النص في جملته بالإضافة إلى أنّه يهيئ بحكم فاعليته وقدرته على ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في عمق النص واكتشاف بنية الدلالة العميقة المؤسسة للنص والمتحكمة في بنيته السطحية.

**3. التنظيم السطحي :**

أمّا في هذا المستوى من الدراسة نجد أنّ الباحث في البداية قد رصد جملة من المفاهيم السابقة التي استقى منها "غريماس" أفكاره في بلورة نموذجه العاملي، فبالإضافة إلى تصورات "فلاديمير بروب" في ميدان الحكايات العجيبة التي ألفيناها في الصفحات الأولى من الكتاب، نجده يذكر أيضا جهود كل من "إتيان سورو" في ميدان المسرح و"لوسيان لتنيير" في ميدان النحو البنيوي

**1. نموذج سوريو (Etienne Souriau)**: الذي ينطلق من النصوص المسرحية، حيث استخرج نموذج عاملي يُكثف ويلخص مجموع التطورات والتحولات التي يزخر بها النص المسرحي . "ويتكون نموذجه من ست خانات هي:

1-الأسد : وهو القيمة الثيمية الموجهة . 2- الشمس: وهي ممثلة الخير . 3- الأرض: تمثل المستفيد المحتمل من الخير . 4- المريخ: هو الذي يقف في وجه تحقق الفعل الدرامي (المعيق).5- الميزان: وهو واهب الخير .6- القمر : ويدل على الهجوم الجديد أو مضاعفة إحدى القدرات السابقة."[27].

وعن أهمية هذا التصور بالنسبة "لغريماس" يضيف الباحث أنّها " تكمن في البرهنة على أن التأويل العاملي يمكن تطبيقه على نصوص مختلفة من الحكايات الشعبية (النصوص المسرحية)."[28].

2. **نموذج لتنيير (lucien Tesniére)**: يرى "بنكراد" على أن استفادة "غريماس" من تصورات "لتنيير" تتمثل في ضبطه لمفهوم الملفوظ، فحسب "لتنيير هناك فاعل وهناك فعل وهناك مفعول به، فقد تتغير المحافل التي تقوم بالفعل، وقد يتنوع الفعل كما قد يتغير المفعول به لكن العنصر الضامن لاستمرارية الملفوظ هو هذا التوزيع بالذات"[29]، وفي هذا السياق وجدنا أنّ "غريماس" لا يخفي سراً لذهوله بهذه الملاحظات التي قدمها لتنيير" فقد سبق أن قلنا بأننا ذهلنا لملاحظة تنيير (...) التي تقارن الملفوظ القاعدي بمشهد إذا تذكرنا بأن الوظائف حسب النحو التقليدي ليست إلا أدواراً تؤديها الكلمات (...) فالممثلون يتنوعون، لكن الملفوظ المشهد يبقى دائماً نفسه لأن ديمومته مضمونة بالتوزيع الوحيد للأدوار"[30]. ومن خلال هذا الطرح الذي تلقّفه رائد النظرية، يفهم أنّ العامل مفهوم أكثر عمومية وتجريداً من الشخصية فقد يكون العامل إنسان أو حيوان أو فكرة أو إحساس، وقد يكون فرديا أو جماعيا مجردا أو مشيّئا .

ويرى "بنكراد" أن استفادة "غريماس" من هذه النماذج الثلاثة (الحكايات الشعبية، المسرح والتركيب) مع ما قام به من بعض التنقيحات والتقعيدات عليها مكنته في الأخير إلى صياغة نموذجه العاملي في صورته النهائية .

### 1.3. النموذج العاملي :

يَعتبر الناقد النموذج العاملي الذي اقترحه غريماس "هو الأساس في تشكل النص ... أو هو بعبارة أخرى شكل قانوني لتنظيم النشاط الإنساني، أو هو النشاط الإنساني مكثفاً في خطاطة ثابتة، ويضيف أن هذه الخطاطة تجمع داخلها كل العوامل المحددة للفعل الإنساني: هدف الفعل، ما يدفع إلى الفعل وما يقف في وجه هذا الفعل، كما أن هذا النموذج لا يخص النص السردي وحده، بل نحن أمام خطاطة عامة يمكن من خلالها فهم السير العادي للحياة ."[31]، ويلاحظ كل مهتم أنّ "غريماس" حاول جاهدا أن يجعل من نموذجه العاملي عاما شاملا لكل أشكال النشاط الإنساني، إذ يقول: "وقد كان همنا الخاص خلال هذا الوقت هو تعميم، قدر الإمكان حقل تطبيق التحليل السردي، وصورنة أكثر فأكثر النماذج الجزئية التي ظهرت أثناء إنجاز الأبحاث ... مثل ضمانة لكونيتها ووسيلة لإدماج البنيات السردية داخل نظرية سيميوطيقية معمّمة."[32]. وعلى ضوء هذا القول، يتضح إمكانية تطبيق هذا النموذج الذي أتى به "غريماس" على أي رواية أو مسرحية بصرف النظر عن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الطرح الغريماسي القاضي بأنّ الرواية لا يمكن أن تحلل بهذا النموذج. "ويتكون هذا النموذج من ست خانات موزعة على ثلاثة أزواج، وكل زوج محدد من خلال محور دلالي يحدد طبيعة العلاقة

الرابطة بين حدي كل زوج، ويحدد في الآن نفسه طبيعة العلاقة الرابطة بين الأزواج الثلاث"[33].
وهكذا تتضح الصورة الكاملة للنموذج العاملي عند "غريماس" على الشكل التالي:

**الشكل 02: النموذج العاملي**

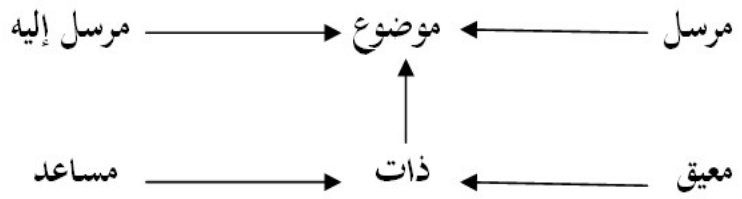


**المصدر: بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ص93**

وفي هذا السياق يقدم الناقد وصفاً دقيقاً للنموذج العاملي من خلال وقوفه على محاوره الأساسية، والعلاقات القائمة بينها إذ يؤكد على أنّ استيعاب هذا النموذج لا يمكن إلا من خلال استحضار أهم محاوره الثنائية الخاضعة لنظام التقابلات، وهي: ذات/موضوع، مرسل/مرسل إليه، المساعد/ المعيق.

1. **ذات/موضوع**: يعبر عنها الناقد ب: (مصدر الحركة (م) غاية الحركة)، فالذات (الفاعل) هو الاسم المقابل للبطل بينما الموضوع هو غاية الذات والحالة التي سوف تنتهي إليها الحكاية إذ "يشكل هذا الزوج العاملي العمود الفقري داخل هذا النموذج، إنه مصدر الفعل وغايته ونهايته أيضاً ... ولا يمكن الحديث عن ذات فاعلة، كما أن الموضوع لا يمكن أن يتحدد إلا في علاقته بالذات" (بنكراد سعيد، 2012، صفحة 96) وهو ما يعني أن الأول يفترض وجود الثاني أي حضور الذات الراغبة تقتضي حضور موضوع مرغوب فيه ( استتباع)، وفي هذا الصدد يقول جوزيف كورتاس:" العلاقة بين ذات/ موضوع، هي علاقة ربط تسمح باعتبار هذه الذات وهذا الموضوع كتواجد سيميائي لأحدهما من أجل الآخر"[34]. ويعبّر هذا الزوج عن علاقة الرغبة كما يقرر ذلك الباحث، ويضيف أنّ الانتقال بين حدّي هذه الثنائية من النفي إلى الإثبات أو من الإثبات إلى النفي، يكسب النموذج العاملي حركية وديناميكية تمنحه وجهاً توزيعيا؛ أي أنّ الذات إمّا أن تكون في حالة اتصال أو في حالة انفصال بالموضوع، "وهكذا نكون أمام ملفوظ انفصالي: ذ∪ م أو ملفوظ اتصالي ذ∩ م"[35].

ولئن أفصح الناقد في كتابه عن هذه العلاقة الاتصالية أو الانفصالية بين الذات والموضوع كما قررها "غريماس"، فإنّه من المهم الإشارة إلى أنّ" كورتاس Courtes.J " يشير إلى إمكانية إضافة علاقة أخرى بين هذين الزوجين، أطلق عليها مصطلح "المحايد"[36].

2. **المرسِل/ المرسل إليه:** في هذا الزوج الثاني المشكل للنموذج العاملي الغريماسي، والذي يعبّر عن علاقة تواصل أو إبلاغ، يرى الناقد أنّ العامل المرسِل هو المحرك أو الباعث وهو ما يجعل القصة تنطلق، وهو ما يجعل الذات ترغب في الموضوع ويدفعها إلى الفعل، أمّا المرسل إليه في نظره هو الطرف المستفيد من فعل الذات بمعنى الرسالة المرجوة من الحكاية. " أي من باعث على الفعل ومن مستفيد منه، لذلك لا يتحددان إلا من خلال موقعهما من حالتي البدء والنهاية باعتبارهما جزأين سرديين مؤطرين لمجموع التحولات المسجلة داخل النص السردي"[37]. وهذا يعني أنّ علاقة التواصل بين المرسِل والمرسل إليه تمر عبر علاقة الرغبة أو علاقة الذات بالموضوع، "فإدخال زوج المرسل/ المرسل إليه في النموذج العاملي يجد تبريره بالنسبة إلى الموضوع. بالفعل فإن هذا الأخير يأخذ مكانه على محور الرغبة ( علاقة ذات/موضوع) ولكنه ينخرط في نفس الوقت على محور التواصل"[38]. ويبدو جلياً أنّ "بنكراد" قد ركّز على دور العامل المرسل في النصوص السردية، ففي نظره لا يمكن أن يحذف أو يُلغى باعتباره الجذر المشترك الضامن لتماسك النص وانسجامه ووحدته.

3. **المساعد/ المعيق:** من يقدم الدعم للذات من أجل الوصول إلى الموضوع يسميه الناقد مساعدا، ومن يضع العراقيل للذات حتى لا تصل للموضوع يسميه معارضاً، ويرى أنّ العلاقة التي تجمع بين العامل المساعد والعامل المعارض هي علاقة صراع (صدام) "فالبطل يقوم برحلة البحث عن موضوع قيمة وأثناء تلك الرحلة يصادف كائنات ... تقوم بمساعدته للوصول إلى أهدافه إلا أنه يصادف في الآن نفسه، من يحول بينه وبين الوصول إلى هدفه النهائي."[39]. وذهب الناقد إلى أنّ حياتنا اليومية التي نعيشها مليئة بصور المساعد والمعيق ابتداءً بحالة الطقس التي تعيق الرحلات وتغلق الطرقات إلى حالات البؤس التي تمنع الناس من الأكل حتى الشبع، ويضيف بنكراد أنّ استجلاء العامل المعيق أكثر تعقيداً في النصوص المعاصرة، فقد يكون البطل من خلال مجموع الصور المرافقة لتشكله معيقاً لنفسه وهذا مقارنةً بالحكايات الشعبية التي تظهر فيها صورة المعيق أكثر بساطة.

يبقى أنّه من المهم الإشارة إلى أنّ تشكيل وتحديد العوامل الستة تختلف من ناقد إلى آخر، وهذا يتوقف على رؤية الناقد للموضوع وكذا ثقافته العامة، ففي هذا الخضم يسوق الناقد في كتابه محاولة "آن أوبرسفيلد Ubersfeld" تعديل النموذج العاملي الذي مسّ نمط اشتغال الخانات "ففي تصورها لا وجود لشخصية محددة بشكل نهائي من بداية النص إلى

نهايته ... فإمكانية تحول عامل ما من خانة إلى أخرى مسألة واردة باستمرار، كما أنّ وجود خانة فارغة لا يحتلها أي عامل مسألة لا يمكن استبعادها أيضاً."[40].

وبعد تأمل وفحص دقيق من لدن الناقد للوحدات المؤسسة للنموذج العاملي من حيث هو نظام قائم، ينتقل بنا إلى الجانب الإجرائي من هذا المخطط، أي من مستوى العوامل كخطاطة معيارية تستند إلى مجموعة من القواعد المجردة إلى ما يشكل وجوداً مشخصاً لهذه العلاقات.

4. **الخطاطة السردية**: يَعتبر "بنكراد" أنّ الانتقال من النظام إلى الإجراء يتوقف على إدخال مقولة بالغة الأهمية في السيميائيات السردية، ويتعلق الأمر بمقولة "التحولات" وتمثل الخطاطة السردية في نظره نموذجا لكل هذه التحولات "فالمقصود بالخطاطة السردية ما يشبه المفاصل التي تتميز من خلالها اللحظات السردية عن بعضها البعض فانتقالنا من المرحلة الأولى (العلاقات المجردة)، إلى المرحلة الثانية (حالات التشخيص)، نقوم بإسقاط الخطاطة السردية باعتبارها عنصراً منظماً ومتحكماً في كل التحولات المسجلة في النص."[41].

من خلال هذا الطرح يتضح أنّ هذه الخطاطة أو الترسيمة تشتغل على عملية تنظيم الأحداث، أي همها الوحيد والأوحد داخل النص هو أن تقوم بتصنيف ما يسمى المتواليات السردية أو المقاطع السردية، وهذا ما يشكل التباين مع النموذج العاملي الذي رأيناه يهتم بالقوى الفاعلة (العوامل) وتنظيمها داخل العمل السردي الحكائي، فهمه تنظيم العلاقات القائمة بين هذه القوى الفاعلة، أي العوامل المحركة للأحداث التي تنظمها الخطاطة السردية، وتقوم هذه الأخيرة كما يرى الناقد على أربعة أطوار هي: التحريك، الأهلية، الإنجاز، الجزاء.

لقد ألفينا الناقد في هذا المنعطف من الكتاب وقف عند هذه العناصر الأربعة المكونة للخطاطة السردية بشيء من الشرح والتفسير بغية تبسيطها وإزالة ما يشوبها من غموض، وعلى إثرها سوف نحاول أن نلامس ما ذكره الناقد بإيجاز.

5. **التحريك**: ينظر "بنكراد" إلى التحريك من زاويتين، الأولى من حيث موقع التحريك الاستهلالي داخل الخطاطة السردية بوصفه إحدى اللحظات الأساسية في تشكل النص السردي، فالتحريك عنده من هذه الزاوية يمثل الحافز على الفعل أي يتولى مسؤولية "خلق صيغة فعل الفعل، أي الدفع بالذات إلى القيام بفعل ما أو إقناعها بالقيام به، وبالتالي فهو نوع من التعاقد بين المرسل(القوة الضاغطة) والذات ويتمحور هذا التعاقد في فعل إقناعي يقوم به المرسل وفعل تأويلي تقوم به الذات"[42]، وتشكل الزاوية الثانية لهذه اللحظة السردية من منظور الناقد رؤية قد لا تتطابق مع أفكار "غريماس" بالضرورة –كما نوه إلى ذلك – تتعلق بالبنيات الخطابية " أي لحظة التحول من السردي إلى الخطابي عبر إدخال الوضعيات الإنسانية

المحددة من خلال عناصر الزمان والفضاء، فالتحريك يشكل من الناحية الخطابية نقطة إرساء إيديولوجي، تتحكم في السير الآتي للأحداث"[43].

تأسيسا على هذا فالناقد يؤكد على عدم إغفال الجانب الإيديولوجي (دين، عادات، تقاليد ...) أو كما يسميها في موضع آخر بالتلون الثقافي المرتبط بالمجتمع وبالجغرافيا في العلاقة التعاقدية القائمة بين المرسل (المحرك)، والذات الذي له أولوية تحديد الإطار المرجعي للفعل والمضمون الإيديولوجي لكل الأفعال الآتية.

6. **الأهلية (الكفاءة)**: يرى الدّارس أنّ الأهلية تتمثل في جملة الشروط التي لابد أن تتوفر في الذات من أجل تحقيق موضوع الرغبة، فهذه الأخيرة لوحدها غير كافية لتحقيق الفعل. هذا الطرح دفع بالناقد إلى اعتبار الأهلية غير ممكنة دون ربطها بالإنجاز "ذلك أن الأهلية والإنجاز كلاهما مرتبطان بدائرة فعل يحكمهما بعد تداولي"[44]، ثم يسوق الناقد الصيغ الأربعة التي تكوّن موضوع الأهلية كما حددها "غريماس" وهي: وجود الفعل، معرفة الفعل، قدرة الفعل، إرادة الفعل. ويضيف أنّ هذه الأربعة ليس من الضروري أن تُكتسب في مجملها أو تمتلكها ذات واحدة. ثم نلفيه يعقد مقارنة شبه ضمنية لتأكيد عنصر الأهلية في تشكل النصوص السردية بين الحكايات الشعبية والأساطير والنصوص الحديثة، حيث اعتبر الأولى لا تدرك فيها الأهلية إلا من خلال الأهلية التأويلية للقارئ، بينما الثانية وخاصة في الروايات العربية المعاصرة تبنى أساساً في كثير من الأحيان باعتبارها رحلة للبحث عن الأهلية وهو ما يجعل منها إنجازاً أساسياً، ولعل هذا ما يؤكد فكرة الترابط والتداخل بين الأهلية والإنجاز المذكورة آنفاً، ولدعم هذا الرأي يحيل الناقد القارئ إلى روايات "نجيب محفوظ" التي تعد في نظره صورة مثلى لهذا النوع من البناء، وبالتالي " فإن الذات يجب أن تحصل على استطاعة معينة لتصبح منجزة بحسب منطق الاقتضاءات، يتضمن الفعل الإنجازي للذات سلفاً استطاعة لإنجاز الفعل."[45].

7. **الإنجاز (الأداء)**: بناءً على ما سبق يتحدد الإنجاز عند الناقد في المرحلة الثالثة داخل الخطاطة السردية، كونه يمثل مرحلة التنفيذ والشروع في العمل "فإذا كان التحريك يحيل على مقولة فعل الفعل، وإذا كانت الأهلية تحيل على كينونة الفعل، فإن الإنجاز يحدد فعل الكينونة، أي الانتقال من القيم الاستعمالية إلى القيم الأساسية كما يصطلح عليها الناقد، فالأولى عرضية لأنها ليست غاية في ذاتها أما الثانية فهي المحددة لهوية البطل"[46]، كما أنّ الإنجاز يشكل عنده الحلقة النهائية داخل سلسلة التحولات المسجلة في النص رغم توسطه لأطوار الخطاطة السردية، فهو من جهة دليل وبرهان على فاعلية التحريك ووجه قيمي للأفعال المنجزة المنبثقة من سلسلة الأحداث من جهة ثانية.

8. **الجزاء (التقويم)**: وهو الطور الرابع والنهائي في الخطاطة السردية، ويمثل مرحلة تقييم الفعل المنجز من طرف الذات، ويرى بنكراد أنّ الجزاء صورة خطابية مرتبطة بالتحريك ما يستلزم ارتباطه بالمرسل أيضاً إذ هو الأداة المخولة لتقييم الإنجاز باعتباره الحلقة الرابطة بين البدء والنهاية، أي بين التحريك والجزاء إذ "يعتبر الفعل الذي يمارسه المرسل في نهاية النص فعلا مزدوجاً، يتعلق الأمر أولا بفعل ذهني للتعرف، أي مدى مطابقة الأفعال المنجزة وطرق تنفيذها مع معايير الكون القيمي الذي يعد هذا المرسل مالكاً له ... ويتعلق ثانياً بالأفعال التي تلي المطابقة المحددة في التعرف وتحيل هذه الأفعال على الجزاء."[47]، ورغم تركيز الناقد على العامل المرسل في طور الجزاء إلا أنّنا نراه يلفت الانتباه ويوضح على أنّهما ( المرسل والجزاء) لا يشكلان بالضرورة الحقيقة الظاهرة أو الخفية للنص، إذ تلعب الإيديولوجيا دورها في تصفية الأحداث حيث يبدو فيها الجزاء كفعل ختامي إلا أنّه نقطة بدئية لنص الواقع ونص الثقافة المحددين في أهلية القارئ النموذجي. وللبرهنة على هذا الطرح يحيل الناقد مرة أخرى القارئ على روايات "حنا مينة" وكذا رواية " يوسف القعيد" التي تنهض شاهداً مثالياً على هذا النوع من الجزاء.

9. **البرنامج السردي**: على ضوء اللحظات السردية المشكّلة للخطاطة السردية ينطلق "سعيد بنكراد" في تحديده لمفهوم البرنامج السردي باعتباره الهيكل العام الذي تدور في فلكه أطوار الخطاطة السردية "فالتحريك والأهلية والإنجاز والجزاء كلها لحظات سردية لا يمكن أن يستقيم مضمونها الحقيقي إلا من خلال وجود غاية مسطرة وإطار يحدد للفعل منطقه، يطلق غريماس على هذا الإطار اسم البرنامج السردي، وينظر إليه باعتباره صيغة تركيبية منظمة للفعل الإنساني بشكل صريح أو ضمني"[48].

ويكشف لنا صاحب الكتاب على أنّ التحولات الفصلية والوصلية القائمة في محور النموذج العاملي هي من يحدد البرنامج السردي وهذا من وجهين، فإمّا أن تدخل الذات مع موضوعها أي من حالة انفصال تقود إلى حالة اتصال، أو العكس من حالة اتصال إلى حالة انفصال. وهذا موضح في الصيغة الآتية: ذ U م. ذ ∩ م / ذ ∩ م. ذ U م وإمّا من خلال إرساء قواعد بنية سجالية تضع على مسرح الأحداث ذاتين تتصارعان من أجل الحصول على موضوع واحد " أي إن اتصال ذ1 مع موضوعها يقرأ استبدالياً كانفصال بين ذ2 والموضوع، والعكس أيضاً صحيح ففي الوقت الذي تكون فيه ذ1 في انفصال مع موضوعها ( ذ1U م) تكون ذ2 في اتصال مع هذا الموضوع."[49]، وفي هذا الصدد يشير الناقد إلى إمكانية وجود سلسلة من البرامج السردية في نص واحد لكنها مرتبطة بالبرنامج السردي الرئيس، لهذا نجده يميّز بين برنامجين: البرنامج الأساسي الذي يحتضن الإستراتيجية السردية -كما سماها- والبرنامج الاستعمالي الذي

تكون غايته تعبيد الطريق نحو تحقيق البرنامج الرئيس. كحال القرد الذي يسعى إلى الحصول على الموز فيجد نفسه محتاجاً إلى البحث عن عصا.

**الخاتمة:**

تلكم هي المحطات الكبرى للسيميائيات السردية التي وقف عندها الناقد "سعيد بنكراد" في كتابه، وعلى ضوئها استخلصنا جملة من النتائج كان من أبرزها ما يلي:

1-كان الهدف الأول لغريماس هو الوصول إلى القواعد الكلية للسرد أي بدراسة القوى الفاعلة التي تحرك الأحداث وتطورها.

2- تعتبر أبحاث فلاديمير بروب وانتقادات ك.ليفي شتراوس من العوامل الرئيسية في بلورة النظرية السيميائية السردية.

3- دقة عنوان كتاب سعيد بنكراد تيسيرا للقارئ العربي من أجل الوصول إلى المضمون، وتجنبا للغموض.

4- العامل في السيميائيات السردية مفهوم أكثر عمومية وتجريدا من الشخصية فقد يكون العامل إنسان أو حيوان أو فكرة أو إحساس وقد يكون فرديا أو جماعيا مجردا أو مشيّئا .

5- الملاحظ على أسلوب الناقد سعيد بنكراد في كتابه أنّه يتّسم بالغموض والالتواء وهو ما يجعل من العسير على الباحث الوصول إلى المعنى المقصود.

6- يعد سعيد بنكراد من أبرز النقاد المغاربة الذين أوْلو اهتماما بالغا بمدرسة باريس السيميائية، خاصة في تسعينيات القرن الماضي، ويظهر ذلك في مدونته النقدية التي احتفت بنظرية "غريماس" سواء من ناحية التنظير أو من ناحية التطبيق.

7- في ختام معاينة هذه النظرية واقتناعاً مني بأن طبيعة النص هي التي تحدد طبيعة المنهج، فإنّ المنهج السيميائي هو المنهج الأنسب لتحليل النصوص السردية.

**قائمة المصادر والمراجع:**

1. بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2012.
2. عقاق قادة، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي نظرية غريماس، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن ، 2018.
3. شرشار فاطمة زهرة، تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعباس: جامعة جيلالي ليابس، 2017.
4. نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2008.
5. كورتاس جوزيف، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.

6. أ.ج غريماس، سيميائيات السرد، تر، عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
7. العجيمي محمد الناصر، في الخطاب السردي نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991.

**الهوامش والاحالات**

[1] بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2012، ص8
[2] عقاق قادة، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي نظرية غريماس، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان الأردن ، 2018، ص64.
[3] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص12.
[4] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص20
[5] شرشار فاطمة زهرة، تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعباس: جامعة جيلالي ليابس، 2017، ص48.
[6] نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2008، ص21/20.
[7] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص23
[8] سعيد بن كراد، المرجع نفسه، ص17.
[9] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص30.
[10] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص32.
[11] كورتاس جوزيف، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص17.
[12] سعيد بنكراد، مرجع سابق، ص39.
[13] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص40.
[14] أ.ج غريماس، سيميائيات السرد، تر، عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص67.
[15] كورتاس جوزيف، مرجع سابق، ص23.
[16] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص40.
[17] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص45/44.
[18] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص53.
[19] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص53
[20] سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص54.
[21] أ.ج غريماس، مرجع سابق، ص104.
[22] سعيد بنكراد، مرجع سابق، ص55.
[23] العجيمي محمد الناصر، في الخطاب السردي نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991، ص98/97.

[24] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص64.
[25] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص68.
[26] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص76/73.
[27] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص91/90.
[28] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص91.
[29] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص92.
[30] كورتاس جوزيف، مرجع سابق، ص103.
[31] بنكراد ص88/87.
[32] أ.ج غريماس، مرجع سابق، ص102.
[33] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص93.
[34] كورتاس جوزيف، مرجع سابق، ص105.
[35] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص98.
[36] كورتاس جوزيف، مرجع سابق، ص111/107.
[37] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص99/88.
[38] كورتاس جوزيف، مرجع سابق، ص109.
[39] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص102.
[40] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص102.
[41] بنكراد سعيد، المرجع نفسه ، ص105.
[42] بنكراد سعيد، المرجع نفسه ، ص112/108
[43] بنكراد سعيد، المرجع نفسه ، 111/110.
[44] بنكراد سعيد، المرجع نفسه ، ص113.
[45] أ.ج غريماس، مرجع سابق، ص151.
[46] بنكراد سعيد، مرجع سابق، ص119.
[47] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، 123/122.
[48] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص125.
[49] بنكراد سعيد، المرجع نفسه، ص128.